مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 52 السنة: 2020

تطورات الحركة المذهبية للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينا (2-7هـ/8-13م)

Developments of the sectarian movement of the rural areas between the Ouarsenis Mountains and Mina Valley (VIIth -XIIIth Century AD)

أحمد بوشامة[1]

طالب دكتوراه جامعة غرداية

مخبر الجنوب الجزائري في التاريخ والحضارة الإسلامية

bouchama.ahmed@univ-ghardaia.dz

طاهر بن علي

جامعة غرداية

ezzahirit@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/04/17 القبول 2020/08/06 النشر على الخط 2020/09/15
Received 17/04/2019 Accepted 06/08/2020 Published online15/09/2020

ملخص:

يحاول هذا المقال وضع تصور عام لانتشار المذاهب العقدية والفقهية، للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينا، وما نتج عنها من تطورات اجتماعية، وجيوسياسية. إنّ التطرق لمراحل الحركة المذهبية بهذه المنطقة يقتضي الإلمام بالجغرافية الطبيعية لها، ثم تتبع السياق التارخي لنشأة الجماعات المذهبية فيها، والتحديات التي واجهتها من أجل الحفاظ على هويتها المذهبية، ومجالاتها الجغرافية، خاصة أمام الدول التي قامت في بلاد المغرب والأندلس، وحاولت فرض توجهاتها المذهبية عليها، ثم الصراعات القبلية التي فككت بُنيتها الاجتماعية، مما جعلها في الأخير تتقبل التحول إلى الانتماء المذهبي الغالب على بلاد المغرب؛ وهو التوجه المالكي والتصوف.

الكلمات المفتاحية: الصراع المذهبي، التحولات المذهبية، الونشريس، مدينة تاهرت، وادي مينا.

Abstract:

This article tries to show a general perception of the spread of the doctrinal and jurisprudential doctrines of the rural areas between Al-Wansharis Mountains and Mina Valley. It shows also the influence of this spread on the social and the geopolitics development. The discussion of the different stages of the sectarianism movement in this region requires the knowledge of its natural geography, then follow up the historical context of these sectarian groups creation, and the challenges which have encountered in order to protect its sectarian identity and its geographical extension, especially against the countries that appeared in Maghreb and Andalusia and tried to impose its sectarian approaches on them then, the tribal conflict that broke up the social structure of these groups, which made it at the end accept to follow the sectarian affiliation dominant in Maghreb which was the Maliki and Sufism.

Key words: The sectarian conflict, The sectarian transformations, The Ouarsenis (AL-wancharis), City of Tiaret, Mina Valley.

[1] -المؤلف المرسل أحمد بوشامة البريد الإلكتروني: bouchama.ahmed@univ-ghardaia.dz

مقدمة:

إنّ الدَّارس لتاريخ بلاد المغرب الوسيط يتضح له مدى أهمية الأرياف، وذلك باعتبار الأدوار التي قامت بها في شتى المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ولعل مما يلفت الانتباه في هذه الجوانب، تلك القضايا المرتبطة بالدين، والمجتمع، والسلطة؛ فالأرياف كمجال تنتجعه أو تستقر فيه الجماعات القبلية، شكّلت في الكثير من الأحيان الحاضن لمختلف التوجهات المذهبية التي انتشرت في بلاد المغرب، مما تسبب في إعادة هيكلة علاقتها مع السلطة المركزية في المدن، وفق مُحددات تتأرجح بين الولاء والعداء للمذهب.

ولذلك جاءت هذه الورقة البحثية؛ كمحاولة لفهم انعكاسات هذه العلاقة من خلال التطرق للحركة المذهبية، وما اكتنفها من تحولات سياسية وقبلية في إطار جغرافي مُحدد، يتمثل في المجالات الريفية الممتدة بين جبال الونشريس ووادي مينا، وهذا من فترة تغلغل الآراء الإباضية، والصفرية، والإعتزال فيها إلى غاية انتشار المالكية والتصوف. العديد من الأسئلة التي طرحت نفسها في هذا الموضوع، من أهمها: ما هي ظروف انتشار الفكر الخارجي بهذه المجالات؟ وكيف كانت علاقة الجماعات المذهبية المستقرة بها مع الدول التي قامت ببلاد المغرب والأندلس؟ وهل أثرت سياساتها المذهبية عليها؟ ثم في الأخير؛ كيف تحولت هذه الجماعات إلى اعتناق المالكية والتصوف؟

1-الإطار الجغرافي للمجالات الريفية فيما بين الونشريس ووادي مينا:

أ-جبال الونشريس:

يرد الونشريس في المصادر الوسيطية كمجال جغرافي واسع، يستمد خصائصه الطوبوغرافية من طبيعته ككتلة جبلية تابعة لسلسلة الأطلس التلي، ولذلك عندما تحدث عنه الإدريسي(ت. 560هـ/1165م)، حاول تحديد جغرافيته انطلاقا من طبيعته التضاريسية، فذكر أنّه يقع في جنوب مدينة مليانة على بعد ثلاثة أيام منها، طوله أربعة أيام، وينتهي طرفه قرب مدينة تاهرت[1]، وجاء في بعض المصادر[2] أيضا، تعبيرا عن اتساع رُقعته الجغرافية، إطلاق اسم "بلاد وانشريس" عليه.

وأمّا الدراسات الحديثة فقد حاولت بدورها تتبع حدود جبال الونشريس بشكل دقيق، فذهب البعض منها[3] إلى جعل حُدوده تصل إلى وادي الشلف[4] شمالا وشرقا، ونهر واصل[1] جنوبا، ووادي مينا غربا، ولكن من خلال الإشارات المصدرية التي تحدثت

---

[1] الإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة – مصر، 2002م، ج1، ص253.

[2] ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1964م، ص167؛ ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت – لبنان، 2000م، ج7، ص116.

[3] Niox (C.), Algérie: Géographie physique, Imprimerie L. Baudoin, Paris, 1884, p50-53; Sari (DJ.), Les populations de l'Ouarsenis central, Méditerranée, T. 11, N.3-4, 1973, p91.

[4] ينبع وادي الشلف من جبال عمور، ثم يتجه شمالا إلى ولاية المدية قرب قصر البخاري، ويعبر بين سلسلة الأطلس التلي إلى غاية جنوب مليانة، ومنها إلى مدينة الشلف، ثم يلتقي بطرفه الآخر القادم من نواحي غليزان، ويواصل جريانه إلى أن يصب في البحر قرب مدينة مستغانم. انظر: المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م، ص21-23؛ Niox, op. cit., p54-55.

عن المجالات المرتبطة بالونشريس خلال العصر الوسيط، لا يُمكن لهذا التحديد أن يتماشى معها، ولذلك نستطيع القول إنّ جبال الونشريس تمتد شمالا إلى بلاد الشلف السفلى، وجنوبا إلى بلاد الشلف العليا[2]؛ وهذان المجالان هما عبارة عن شريطين يتميزان بتعرجات تضاريسية بسيطة، تمتد الأولى من نواحي مدينة غليزان، وتُساير وادي الشلف إلى جبل زكار، والثانية، تبدأ من مدينة الدحموني (ولاية تيارت) وتُساير الجهة الشمالية لنهر واصل إلى غاية إلتقائه مع وادي الشلف. وأما من الجهة الشرقية للونشريس فيحده سهل الشلف الأعلى، حيث تعتبر جبال اللوح بولاية عين الدفلى الحد الفاصل بينهما[3]، ومن الناحية الغربية فينتهي طرفه عند تلول منداس[4]، وبالتحديد عند جبال الرمكة[5].

ب-تلول منداس:

تبدأ تلول منداس من جبل قزول الذي بُنيت عليه مدينة تاهرت، وتُشكل شريطا من المرتفعات المتوسطة، تربط بين جبال الونشريس شرقا، والأراضي السهلية من الجهات الأخرى. سميت بهذا الاسم نسبة لقبيلة منداس أو منداسة، التي اختلف النسابة في أصلها، فمنهم من أرجعها إلى بطون أداس بن زحيك بن مادغيس الذين اندمجوا في قبيلة هوارة، ومنهم من يجعل نسبها حقيقيا في هوارة، وذلك على أساس أنها من بطون مغر بن هوار بن أوريغ الهواري[6]. وأما ابن أبي زرع(ت.726هـ/1326م) فيذكر خلاف ما سبق، ويضعها ضمن فروع صنهاجة[7]. ومهما يكن من أمر، فإن قبيلة منداس اشتهرت في منتصف القرن 2هـ/8م، وارتبطت فيما بعد هذه التلال باسمها.

ج-وادي مينا:

يرجع لفظ "مينا" إلى مدينة رومانية حملت نفس هذا الاسم، أُسست في القرن الأول للميلاد، مكانها الحالي قرب مدينة غليزان، ويُعتقد أن كلمة مينا مشتقة من Mine التي تعني الذهب أو الفضة، وربما تُفسر أيضا بالأرض الخصبة[8]. ينبع هذا الوادي من النواحي الشرقية لمدينة فرندة، ثم يتجه شمالا مُخترقا أراضي سهل السرسو[9] إلى جبل قزول، وبعد ذلك ينعطف

---

(1) ينبع نهر واصل من الجبال التي تقع جنوب مدينة بوشقيف، ثم يتجه شمالا إلى غاية مدينة الدحموني، وبعدها ينعرج شرقا، ويواصل جريانه إلى أن يصب في نهر الشلف في نواحي الشهبونية (ولاية المدية). انظر: المدني، المرجع السابق، ص22؛ Niox, op. cit., p55; Barlette (H.), Monographie de la région de Tiaret, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3é trimestre, 1912, p315.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص74، 116، 218.

(3) شرايف سحنون، دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني (40-429م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2011-2010م، ص8. Lacroix (N.), Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel, Revue Africaine, N. 272-273, 1909, p318, 345.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص67.

(5) شرايف، المرجع السابق، ص8.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص159، 164، 183.

(7) ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972م، ص120.

(8) شرايف سحنون، المرجع السابق، ص44-45.

(9) من الصعب تحديد جغرافية سهل السرسو انطلاقا من المصادر الوسيطية، سوى ما يُفهم من بعض النصوص عند ابن خلدون من أنه يقع جنوب نهر واصل (ج7، ص205.)، وتمتد حدوده الغربية إلى جنوب وادي مينا، حيث كان يُطلق على هذا الجزء سهل السرسو الغربي (ج6، ص153-154، ج7، 67-68). وأما

غربا إلى غاية منطقة سيدي محمد بن عودة التابعة لولاية تيارت، ثم يواصل جريانه شمالا إلى أن يمر بالقرب من مدينة غيلزان، ويصب في نهر الشلف[1]. وقد جاء في كتاب العبر اسم "وادي ميناس" في العديد من المرات[2]، ولكن عند تتبع مساره حسبما حدده ابن خلدون(ت. 808هـ/1405م)[3] يتضح أنه نفسه وادي مينا.

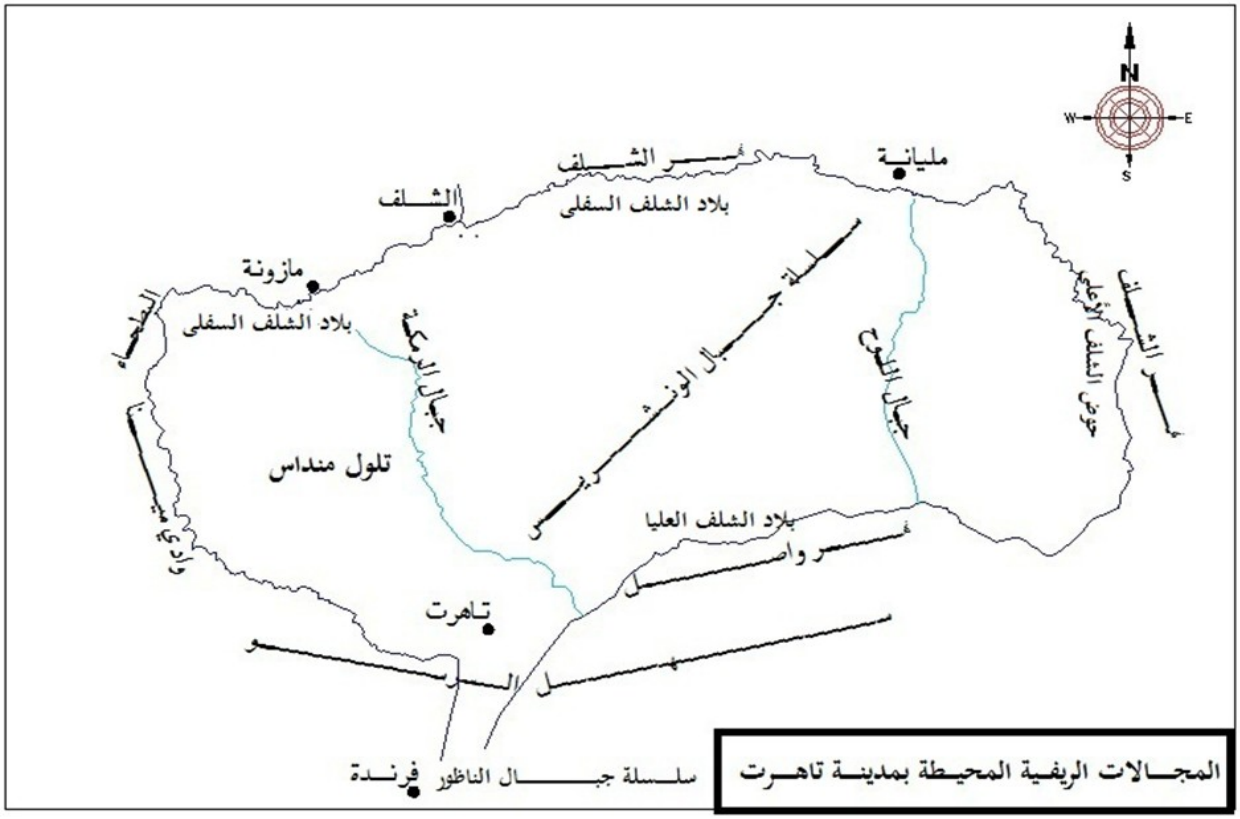

2- الحكم الصفري والإباضي فيما بين الونشريس ووادي مينا:

خضعت بلاد المغرب بعد عملية الفتح الإسلامي لممثلي الخلافة بالقيروان، لكن مالبث دعاة الصفرية والإباضية أن نقلوا أفكارهم بين العديد من الجماعات القبلية، مُستغلين طبيعة المجتمعات المغربية التي كانت تفضل العيش تحت سلطة مشيخية بدل نظام السلطة المركزية، وكذلك حالة الاستياء التي كانت تعتريها جرّاء التصرفات التعسفية التي مارسها بعض الولاة اتجاههم، ودعوا إلى أن مبادئ الإسلام الحقيقية -التي رأوها متجسدة في عقائد هذين التوجهين- كفيلة بتحقيق حلم الحاكم العادل[4]. ولذلك عملت بعض القبائل الرعوية على تبني هذه العقائد ونشرها فيما بينها، ضمن المجالات التي كانت تنتجعها في التخوم

الدراسات الحديثة فجعلت موقعه يمتد من نهر واصل شمالا، إلى مجموعة من الجبال جنوبا، أهمها: جبال الناظور، وجبال فرندة. انظر: Niox, op. cit., p57 ; Bugéja (M) et Rousseau, Le Serssou, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3é trimestre, 1904, p62; Perrin (R.), Le Sersou: Etude de géographie humaine (Premier article), Méditerranée, 1e année, N.2-3, 1960, p61.

(1) المدني، المرجع السابق، ص22؛ Barlette, op. cit., p314.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص57، ج6، ص154، 159، ج7، ص46، 74.

(3) نفسه، ج6، ص159.

(4) محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1985م، ص31-41.

الشمالية للصحراء، والهضاب العليا، والسهول ما بين برقة إلى جنوب تلمسان[1]. وفي هذا الإطار يُمكن تفسير وصول عقائد الإباضية إلى سهل السرسو، وتلول منداس، حيث اعتنقتها العديد من قبائل المنطقة مثل: مطماطة، وزواغة، وهوارة، ولواتة، وعقائد الصفرية التي انتشرت في قبيلة مغيلة بحوض الشلف الأدنى[2].

وبعد نجاح القيادات الصفرية والإباضية في تكوين جبهة ثورية معارضة لنظام الحكم، دخلت بلاد المغرب في حروب أهلية عارمة[3]، كان من نتائجها بروز كيانات سياسية مستقلة، ومن بين هذه الكيانات التي تأسست في النواحي الغربية للمغرب الأوسط فيما بين سنتي 125 و129هـ/743 و747م، إمارة أبي قرة المغيلي الصفري، التي امتدت مجالاتها الجغرافية من مدينة تلمسان التي اتخذتها مركزا لها إلى قبيلة مغيلة بالونشريس[4]. وهذا الفرع القبلي؛ يُمكن تحديد موقعه انطلاقا من التمركز الرئيس لقبيلة مغيلة الكبرى التي توزعت بمحاذاة وادي الشلف[5]، ولذلك من المحتمل جدا أن تكون مغيلة الونشريس امتدادا للقبيلة الأم من الجهة الجنوبية لهذا الوادي وصولا إلى شمال الونشريس. ويظهر أنّ هذه الإمارة استمرت إلى أن سقطت على يد قبيلة مغراوة التي تمكنت من الاستيلاء على مدينة تلمسان قبل سنة 173هـ/789م[6].

وفي الجهة الشرقية لهذه الإمارة بالمغرب الأوسط، عرفت منطقة تاهرت نقطة تحول مهمة في تاريخها، وهذا بعد هزيمة الإباضية بقيادة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في نواحي طرابلس، أمام والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي (141-144هـ/759-761م) في بداية سنة 144هـ/761م[7]، مما أدى إلى فرار عبد الرحمن بن رستم من مدينة القيروان إلى قبيلة لماية في الجنوب التاهرتي[8]، حيث اجتمعت عليه القبائل الإباضية، وانتقلوا معه في نفس هذه السنة إلى جبل قزول، وفيه تمت تمت مُبايعته بإمامة الدفاع، وتأسيس مدينة تاهرت لتكون عاصمة لدولتهم[9]، ثم بعد ذلك بُويع بإمامة الظهور على الأرجح في سنة 160هـ/779م[10].

---

(1) Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique du Nord – les siècles obscures -, Payot, Paris, 1937, p294; Amara (A.), Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIII^{e}-XIV^{e} siècle), Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N. 132, 2012, p119.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص147، 158، 164.

(3) للإطلاع أكثر على ثورات الصفرية والإباضية ضد ممثلي الخلافة الأموية ثم العباسية في بلاد المغرب قبل قيام الدولة الرستمية. انظر: محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص62-95؛ خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، المطابع الذهبية، مسقط-عُمان، 2002م، ص138-155.

(4) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط-المغرب، 2005، ص141.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص164، ج7، ص18.

(6) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21.

(7) أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، حققه ووضع حواشيه: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 3، الجزائر، 1984م، ص66-70.

(8) أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص159.

(9) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، المسالك والممالك، حققه ووضع حواشيه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، ج2، ص250؛ البغطوري (مقرين بن محمد النفوسي)، روايات الأشياخ: أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، بركاء-عُمان، 2017م، ص104؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص147؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص150.

(10) أبو زكرياء، المصدر السابق، ص73، 81.

ومن هنا بقيَّ التأثير الرستمي الأكثر حضورا في المجالات الممتدة بين جبال الونشريس ووادي مينا طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين[1]، وعلى هذا الأساس؛ مثّلت هذه المناطق، المجالات الريفية للعاصمة الرستمية، التي توزعت في أرجائها العديد من الجماعات القبلية التابعة للدولة الرستمية. ومن بين هذه القبائل التي استقرت فيها، قبيلة منداس، وهي قبل تأسيس مدينة تاهرت، كانت رفقة قبيلة صنهاجة تمتلكان الموقع الذي بُنيت عليه العاصمة الرستمية، فقام عبد الرحمن بن رستم بالاتفاق معهما، على أن يعطيَّ لهما خراج الأسواق، مقابل السماح لأتباعه باختطاط المدينة[2]، ويبدو أنّ قبيلة منداس بعد بناء المدينة انزاحت عن عن جبل قزول، وتمركز وجودها في التلول المعروفة باسمها شمال مدينة تاهرت[3]. وفي جنوب هذه التلول أيضا استقرت قبيلة مطماطة مطماطة في النواحي الشرقية والشمالية منها[4]، وبجاورها تمركزت قبيلة زناتة التي اعتنقت جماعات منها الاعتزال، واشتهروا بلفظ الواصلية(نسبة إلى واصل بن عطاء)[5]. وفي غرب مدينة تاهرت، استقرت قبيلة زواغة قرب وادي مينا[6]،

وعلى الرّغم من ولاء هذه القبائل لأئمة الدولة الرستمية في غالب الأحيان، إلّا أن منطق القبلية بقيَّ متحكما في تسير شؤونها، حيث شكّلت هذه الجماعات مع ما جورها من القبائل الأُخرى، خاصة التي توزعت في سهل السرسو، مثل مكناسة، ولواتة، وهوارة[7] كيانات اجتماعية، تميَّزت بتقديم الولاء الداخلي على الخارجي؛ وهو ما جعل للمجال الريفي مركز قوة نابع من خلال العصبية القبيلة التي جعلت علاقة القبائل بحكام الدولة في العديد من أطوار التاريخ الرستمي تخرج عن نطاق السيطرة، متسببة في انتفاضات قبلية[8].

ولذلك كانت سياسة الرستميين اتجاههم تعتمد على التقدير الظرفي في كيفية التعامل معهم، ففي بعض الأحيان نظروا إليهم كمصدر يُهدد قيام دولتهم، ويتضح هذا في السياسة التي انتهجها الإمام أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ/823-872م) للحد من قوة القبائل المجاورة له، قال ابن الصغير(ت. بعد294هـ/907م):" وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الأموال، واتخذت العبيد والخيول، قد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدي عليه، فتزيل ملكه، فلما رأى ذلك أرّش (حرّش) ما بين كل قبيلة ومجاورها، فأرش بين لواتة وزناتة، وما بين لواتة ومطماطة..."[9]. وفي أحيانا أخرى لجأوا لجأوا إليهم كمعارضين، ومن ذلك ما فعله يعقوب بن أفلح عندما تولى أبو حاتم بن أبي اليقظان الإمامة سنة 281هـ/894م،

---

[1] اليعقوبي (أحمد بن أبي إسحاق)، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، ص195.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص250؛ الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، 1974م، ج1، ص44.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص158؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص149.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص164.

[5] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص158، ج7، ص67.

[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص100.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص249؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص158.

[8] ابن الصغير، المصدر السابق، ص41-44، 45-48، أبو زكرياء، المصدر السابق، ص102؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص170-177.

[9] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، ص55-56.

رحل عن مدينة تاهرت، ولجأ عند قبيلة زواغة بالقرب من وادي مينا[1]، معتزلا التدخل في شؤون الحكم الرستمي إلى أن استطاعت استطاعت الجبهة المعارضة لأبي حاتم استقدامه إلى المدينة، فقام حاكما عليها لمدة أربع سنوات (282-286هـ/895-899م[2].

3-الصراع المذهبي فيما بين الونشريس ووادي مينا خلال العهد الفاطمي:

وجد أبو عبد الله الشيعي عندما مرَّ بجيشه على مدينة تاهرت في سنة 296هـ/909م دولة ضعيفة ومفككة، نتيجة التطاحن على السلطة في أواخر العهد الرستمي[3]، فاستطاع الإطاحة بها، والقضاء على حاكمها يقظان بن أبي اليقظان (294-296هـ/907-909م)، وولَّى على المدينة أبا حميد دواسا بن صولات اللهيصي، وإبراهيم بن محمد الهواري، ثم أكمل سيره إلى سجلماسة من أجل إنقاذ عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم[4]. وبعد قيام الدولة الفاطمية في 20 ربيع الآخر 297هـ/6 جانفي 910م[5]، اتجهت سياستها إلى محاولة فرض سلطانها، ومذهبها الشيعي الإسماعيلي، وهذا ما أدى إلى اصطدامها بالقوى المذهبية الأخرى في بلاد المغرب.

برزت خلال هذه الفترة قبيلة مطماطة الإباضية في تلول منداس التي سيطرت على مجموعة من الحصون والقلاع[6]، وقد حاولت حاولت في سنة 298هـ/911-912م مع بعض القبائل الأخرى، إعلان الانفصال السياسي، مما عرضها لحملة عسكرية قادها دواس بن صولات ضدها، فقام بإلحاق الهزيمة بهم، وإعادة إخضاعهم لسلطة الفاطميين[7]. وأمام رفض القبائل المتوزِّعة فيما بين الونشريس ووادي مينا للتوجه السياسي والمذهبي للفاطميين سعى عبيد الله المهدي(297-322هـ/910-933م) لتهدئة الأوضاع؛ وذلك باستمالة أصحاب المذاهب المخالفة، ففي سنة 309هـ/921م أرسل مجموعة من الدعاة، وأمرهم أن ينظروا في أحوال العامة، فإن وجدوا منهم قبولا، نشروا الدعوة الإسماعيلية فيهم، وكان من هؤلاء الدعاة منيب بن سليمان المكناسي الذي وجّهه إلى جبال الونشريس، غير أنَّ دعوته المتطرفة، جعلت سكان المنطقة ينفرون منها، ويقتلون بعض أتباعها[8]. ويظهر أن الدعوة

---

(1) نفسه، ص96؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص158؛ الباروني (سليمان بن عبد الله)، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية: القسم الثاني، تحقيق: كروم أحمد بن حمو وعمر بازين، مكتبة الضامري، ط2، السيب-عمان، 2014، ص405.

(2) ابن الصغير، المصدر السابق، ص96-101؛ إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات وزارت الشؤون الدينية والأوقاف، ط4، الجزائر، 2015، ص178.

(3) عن الأوضاع السياسية في أواخر الدولة الرستمية. انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص91-100؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص149-163؛ بحاز، المرجع السابق، ص176-187.

(4) أبو زكرياء، المصدر السابق، ص169-170؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م، ج1، ص197.

(5) القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي)، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس و الجزائر، 1986م، ص299.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص162؛ الداعي إدريس (عماد الدين بن الحسن القرشي)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م، ص220.

(7) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص160.

(8) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص185.

الدعوة الإسماعيلية على الرغم من الرفض العام الذي أظهرته القبائل لها، إلّا أنها وجدت قبولا عند بعض الشخصيات بالمنطقة، منها عبد الله بن إدريس المطماطي الذي وُلِيَّ منصب كاتب الخراج لعبيد الله المهدي[1].

ثمَّ في سنة 313هـ/925م تجددت تدخلات محمد بن خزر زعيم قبيلة مغراوة الزناتية للسيطرة على منطقة تاهرت، وذلك من خلال مساعدة "جموع كثيرة من قبائل زناتة، وغيرهم من البربر أهل الأطراف"[2]، مما جعل الجيش الفاطمي بقيادة موسى بن محمد الكتامي يتدخل لمواجهته، فهرب محمد بن خزر نحو الصحراء، وترك أخاه عبد الله بن خزر في نواحي تاهرت، فقام هذا الأخير بهزيمة واليها يصل بن حبوس، والسيطرة على المنطقة[3]. وقد أعقب هذا، تمرد عام بالمغرب الأوسط، حتّم على عبيد الله المهدي أن يجهز جيشا، ويكلف ابنه أبا القاسم بإعادة إخضاع القبائل العاصية[4]، ويتضح الدور الذي قامت به قبيلة مطماطة مطماطة في هذا الصراع من خلال فتح حصونها للقبائل المتمردة تحت زعامة عبد الله بن خزر، ولكنّ الجيش الفاطمي عندما وصل إلى غرب الونشريس في بداية ذي الحجة سنة 315هـ/جانفي-فيفري927م، استطاع اقتحام حصونها، وهزيمة المعتصمين بها، مما جعل قبيلة مطماطة تُقرِّر الاستسلام، وأما عبد الله بن خزر ففرَّ إلى جنوب تاهرت[5]، ثم بعد ذلك قام الجيش الفاطمي بالعديد من الحملات العسكرية في تلول منداس، والنواحي المحيطة بها، أسفرت عن إخضاع الجماعات المتمردة، ولما اقترب أبو القاسم من مدينة تاهرت، جاءته القبائل الإباضية، مجددة ولاءها له، وهي: لماية، ومزاتة، وزواغة، ومكناسة، وقصيرة، وهوارة[6].

غير أنَّ الأوضاع بالمغربين الأوسط والأقصى سرعان ما ازدادت تأزما، وذلك بعدما نصَّب الأمير الأموي عبد الرحمن بن محمد(300-350هـ/ 912-961م) نفسه خليفة سنة 316هـ/929م، وتسمى بالناصر لدين الله، وبدأ يدعو الأدارسة، وزعماء القبائل المغربية للدخول في طاعته[7]، مما جعل العديد من المتمردين، وزعماء القبائل يقدمون له الولاء، ويتحالفون ويتحالفون معه ضد الفاطميين؛ مثلما حدث سنة 338هـ/950م، حيث تحالف يعلى بن محمد زعيم قبيلة بني يفرن مع الخير بن محمد بن الخزر المغراوي، وقدما ولاءهما لعبد الرحمن الناصر، ثمّ تمكنا من السيطرة على مدينة تاهرت[8]. وفي هذه السنة أيضا شرع يعلى بن محمد في ترسيخ وجوده كقوة محلية بالمغربين الأوسط والأقصى، فقام بتأسيس مدينة افكان[9]، التي كانت سوقا

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص161.

(2) الداعي إدريس، المصدر السابق، ص214.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191.

(4) ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة، القاهرة-مصر، د.ت، ص45.

(5) الداعي إدريس، المصدر السابق، ص219-221.

(6) ابن حماد، المصدر السابق، ص45؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص104؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص50-51؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص221-225.

(7) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص35.

(8) ابن حيان (أبو مروان بن خلف القرطبي)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد-إسبانيا، 1979م، ص255؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص157.

(9) تعرف حاليا بعين افكان، تقع جنوب غرب مدينة معسكر، على بعد حوالي 26 كم، وحسب عدة بن داهية فإن مدينة إفكان بُنيت على أنقاض مدينة رومانية تسمى"Alamiliaria". انظر: معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م، ص50.

للقبائل الزناتية، واتخذها مركزا لحكمه، وهذا؛ تمهيدا للمشروع التوسعي الذي كان يسعى إليه[1]. وقد استغلت بعض القبائل المتمركزة فيما بين الونشريس ووادي مينا قوته لإقامة تحالافات معه، والاستعانة به من أجل تصفية الحسابات مع بعضها البعض؛ وهو ما سمح لنا بالتعرف على الجغرافية القبلية لهذه المجالات، وما طرأ عليها من تحولات.

عرفت هذه الفترة بروز قبيلة بني وجديجن الزناتية التي سيطرت على تلول منداس، وبذلك دفعت قبيلة مطماطة إلى الونشريس الغربي، وأما قبيلة مغيلة فيبدو أنها حافظت على مواطنها الممتدة إلى الشمال الغربي للونشريس[2]. وفي فترة غير محددة، ولكنها من المؤكد بعد سنة 338هـ/949م، دخل بنو وجديجن في صراع مع جيرانهم من قبيلة لواتة، ثم تحالف زعيمهم عنان مع شيخ قبيلة مغيلة كلمان بن حياتي، وشيخ قبيلة مطماطة المعروف بغزانة، ويعلى بن محمد اليفريني، وطردوا لواتة من سهل السرسو الغربي، وسيطر بنو وجديجن ومطماطة عليه، كما حدثت مواجهة أخرى ضد قبيلة زناتة، جعلتها تلجأ إلى جبل كريكرة جنوب مدينة تاهرت[3]، وبذلك تمكن يعلى بن محمد بفضل هذا التحالف بسط نفوذه على المجالات الريفية الشمالية لمدينة تاهرت.

وفي سنة 340هـ/951م وفد فتوح بن الخير المغراوي مع مشيخة تاهرت ووهران على عبد الرحمن الناصر في الأندلس، ومن غير المعروف؛ إن كان شيوخ القبائل السابق ذكرهم كانوا ضمن هذا الوفد أو لا؟ ولكن ما يُهم، أنّ عبد الرحمن الناصر قام بمكافأتهم على ولائهم له[4]، ولا شك أن هذه الزيارة، لم تقتصر مُخرجاتها على تأكيد الولاء السياسي فقط، وإنما أيضا فتحت أبوابا للولاء المذهبي، وبهذا الاصطفاف عرَّضت هذه القبائل نفسها لصراع آخر ضد الفاطميين، فبعد سبع سنوات استمر فيها نفوذ يعلى بن محمد على المنطقة الممتدة من تاهرت إلى طنجة، قام القائد الفاطمي جوهر الصقلي سنة 347هـ/958م بقتله، وتخريَّب مدينة افكان، وهذا في إطار إعادة إخضاع المنطقة للسلطة الفاطمية[5].

4-التحولات المذهبية فيما بين الونشريس ووادي مينا:

تعتبر الإشارات المصدرية التي تحدثت عن التحولات المذهبية فيما بين الونشريس ووادي مينا قليلة جدا، كما أنها غير دقيقة في تحديد الفترة الزمنية، ولا في الكيفية التي تحولت بها معتقدات الجاعات المذهبية المستقرة بها، فابن خلدون عندما تطرَّق لحملة القائد الفاطمي غزوية بن يوسف على تاهرت سنة 298هـ/910-911م، وصف جانبا من آثارها فقال:"... فأمحى في مؤامرتها الإباضية من لماية، وازداجة، ولواتة، ومكناسة، ومطماطة، وحملهم على دين الرافضة، وفسخ بها دين الخارجية حتى استحكم في عقائدهم"[6]، غير أنَّ الوقائع التاريخية تثبت أن الإباضية استمرَّ وجودها بالمنطقة بعد هذا التاريخ.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص263-264؛ Fournel, (P. H.), Les Berbères (Etudes sur la Conquête de l'Afrique par les Arabe, l'imprimerie Nationale, Paris,p292-293.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص154، ج، 7، ص74-75، 67-68.

[3] نفسه، ج7، ص67-68.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص318؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص36.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص90.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص160.

وأما النويري(ت.733هـ/1333م) فينقل عن الرقيق القيرواني(ت. 420هـ/1029م) حديثه عن الحملة العسكرية التي قادها أبو القاسم بن عبيد الله ضد المتمردين في منطقة تاهرت سنة 315هـ/927م، ومما جاء فيها:" ففتح مزاتة، وهوارة، ومطماطة، ولماية، وكلٌّ من خالطهم من الصفرية والإباضية"[1]، فإذا كان هذا النص الإخباري يمكن قبوله مع الصفرية على اعتبارها أقلية مذهبية، إلّا أنَّه لا يمكن التسليم به مع الإباضية، لأن الإصطخري(ت. بعد 340هـ/951م) عند حديثه عن تاهرت في هذه الفترة أكّد على أنَّ الإباضية هم الغالبون عليها[2]. بل إنّ أبا زكرياء(ت. بعد 474هـ/1081م)[3] يُشير في بدايات الثورة الإباضية التي حدثت ضد الفاطميين في نواحي مدينة الحامة ببلاد الجريد وصولا إلى مدينة باغاي سنة 358هـ/969م[4]، إلى أنّ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله(341-361هـ/953-972م) عرض على قادتها إعطاءهم إقليم تاهرت مقابل العدول عن ثورتهم، فإن صحَّ هذا الخبر، فهل تُعتبر هذه المنطقة إلى غاية هذا العهد، من مواطن الإباضية في بلاد المغرب؟ أم هي مُداراة سياسية من قبل المعتز لا غيْر، لأنّه يعلم أن الظروف المذهبية قد تغيرت في هذه الناحية، ولا يمكن أن يكون للإباضية موطنا فيها؟

وأمام هذه النصوص الإجمالية التي لا تمدنا بأجوبة كافية، لا بد من طرح تفسيرات أُخرى عن التحولات المذهبية بهذا المجال. من خلال تتبع الأحداث المرتبطة بالمنطقة، فالملاحظ بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م، هو فرار القيدات السياسية إلى مدينة وارجلان[5]، وبعد ذلك تبعه هجرات أُخرى كرحيل قبيلة نفوسة التي لم تشر المصادر لأيِّ دور قامت به في المنطقة بعد النصف الثاني من القرن 4هـ/10م. كما عرفت الفترة الفاطمية في بلاد المغرب صراعا عنيفا للسيطرة على إقليم تاهرت، تسبب في تعميق النزيف الإباضي بالمنطقة، فقبيلة لواتة الإباضية بعدما طُردت من سهل السرسو الغربي، انزاحت جنوبا إلى جبل كريكرة، فقامت إحدى فروع قبيلة مغراوة التي كانت تستوطن هذا الجبل، بطردوهم إلى جبل دراك (دراق حاليا[6])، وجبل يعود في النواحي الشرقية لوادي مينا، وهذا بعدما جرت بينهما مواجهة عسكرية، تعرضت فيها قبيلة لواتة للقتل والسلب[7]. وأما الزناتيون الذين عاشوا في نواحي تاهرت، فقد عوفوا سنة 361هـ/971م تقتيلا، وتهجيرا جماعيا من قِبَلِ بلكين بن زيري الذي تتبع الجماعت الزنانية وطردها من تاهرت، والزاب، وما اتصل بمجالاتهم بالمغرب الأوسط من البوادي والصحراي إلى ما وراء وادي ملوية بالمغرب الأقصى[8]. ويؤكد ابن حوقل(ت. بعد 367هـ/977م) عند زيارته لمدينة تاهرت ظاهرة كثرة القتل في القبائل المجاورة للمدينة،

---

(1) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، حقيق الجزء 28-29: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م، ج28-29، ص70.

(2) الإصطخري (أبو الحسن إبراهيم بن محمد الفارسي)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1870م، ص39، 45.

(3) أبو زكرياء، المصدر السابق، ص215.

(4) للإطلاع أكثر عن هذه الثورة. انظر: Prevost, (V.), La révolte de Bagaya (358/969): le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Nastern Studies, Vol. 65, N.3, 2006, p207-206.

(5) أبو زكرياء، المصدر السابق، ص188.

(6) يرتبط هذا الجبل من الناحية التضاريسية بسلسلة جبال مطماطة، وأما إداريا فهو تابع لدائرة عزيز ولاية المدية. انظر: Ficheur (E.), Le crétacé inférieur dans le massif des Matmatas (Alger), Bulletin de la Société Géologique de France, N.8 , 1900،

(7) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص145، ج7، ص68.

(8) مفاخر البربر، ص97-98؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص37-38.

قائلا:" وقد تغيرت تاهرت عمَّا كانت عليه، وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط، وكثرة القتل والموت"[1].

وقد صاحب هذه الفترة خضوع إقليم تاهرت لولاة فاطميين، أو زعامات قبلية فرضت على الجماعات المذهبية الموجودة بها توجهات عقدية وفقهية مخالفة لها؛ ويظهر هذا في سياسة الأمويين التي لم تكتفي بالولاء السياسي لأتباعها في بلاد المغرب، وإنما طالبتهم أيضا بمخالفة الشيعة، وممارسة العبادات وفق المذهب المالكي، مثل الاتزام بإقامة صلاة التراويح[2]، التي تُعتبر في منظور الفقه الشيعي الإسماعيلي من البدع المحدثة[3]، وهو ما سمح للأراء الفقهية المالكية بالانتشار على مستوى تطبيقي في بلاد المغرب.

إنَّ الطرح الذي قدَّمه علاوة عمارة[4] عن الهجرة الهلالية، واعتبارها كأحد العناصر المهمة في تغيير التركيبة الاجتماعية للجماعات للجماعات الإباضية في إقليم الزاب، يمكن أن نجد ما يشبهه في المجالات الريفية بين الونشريس ووادي مينا، ولكن مع فروع جديدة من القبائل الزناتية، ومن أهمها قبيلة بني توجين التي صنفها ابن خلدون ضمن الطبقة الثالثة، تنحدر من بني واسين، وهو الأصل المشترك الذي تلتقي فيه مع بني مرين، وبني عبد الواد، وبني راشد[5]. تمركزت معظم هذه الفروع في بداية القرن 4هـ/10م بمحاذاة نهر ملوية، حيث كانوا يُعرفون ببني واسين، ويعتنقون المذهب الإباضي[6]. ولما ظهرت الدعوة الأُموية ببلاد المغرب أخذوا بها[7]، ولمّا كانوا تابعين لزعامات قبلية كبرى من مكناسة بالمغرب الأقصى، ثم مغراوة، وبني يفرن فيما بين تلمسان ووادي الشلف، أدى تحول هذه القبائل إلى المذهب السني، إلى تحولهم هم أيضا[8]. وبعد تهجير بلكين بن زيري للعديد من فروع بني يفرن ومغراوة إلى المغرب الأقصى سنة 361هـ/971م، استغلوا فرصة عدم وجود قوة فعلية تقف أمامهم "فتشعبت أحياؤهم، وبطونهم في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب، وما إليها من صحراء أفريقية"[9]. وفي خضم هذا، بدأت قبيلة بني توجين بحكم طبيعتها الرعوية تتجه مجالات انتجاعها شمالا إلى أن وصلت إلى سهل السرسو، وذلك لاستغلال ما يتمتع به من خصوبة الأراضي، ووفرة المياه[10].

---

[1] ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، 1996م، ص93.

[2] ابن حيان(أبو مروان بن خلف القرطبي)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي حجي: دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1965م، ص174–175.

[3] القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة–مصر، 1963م، ج1، ص213.

[4] Amara, op. cit., p128-130.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص79.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ص463؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص78.

[7] ابن حيان، المصدر السابق، تح: شالميتا، ص370.

[8] ابن حزم، المصدر السابق، ص463؛ ابن حيان، المصدر السابق، تح: شالميتا، ص370؛ وحسب ابن خلدون فإن قبيلة بني يفرن التي كانت فيما بين تلمسان ووادي الشلف، وانزاحت بعد ذلك إلى المغرب الأقصى، انسلخت من أيِّ إنتماءات خارجية، قبل تأسيس يعلى بن محمد اليفرني لإمارته سنة 338هـ/949م. انظر: المصدر السابق، ج7، ص16، 83.

[9] نفسه، ج7، ص 81.

[10] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص78، 205؛ Niox, op. cit., p55, 57.

وفي سنة 405هـ/1015م تمرد حماد بن بلكين على ابن أخيه الأمير الزيري باديس بن المنصور(386-406هـ/996-1016م) ولجأ إلى النواحي الشرقية لمدينة تاهرت، ولما وصل باديس بجيشه قرب نهر واصل (نهر الشلف الأعلى) قدَّمت قبيلة بني توجين الولاء له، ونصروه في المعركة التي هَزَمَ فيها حماد بن بلكين، وقد كافأ باديس بني توجين على وقوفهم بجانبه، فأقرهم على الغنائم التي تحصلوا عليها في المعركة، وعيَّن لقمان بن المعتز زعيما عليهم، وأذن لهم في امتلاك الأراضي، مقابل إعلان تبعيتهم له[1].
له[1].

وقد استغلت قبيلة بني توجين هذا الامتياز، فبدأت توسع نفوذها في المنطقة على حساب القبائل المجاورة لها، حيث اتجهت سياسة زعمائها في البداية إلى تثبيت وجودهم في المنطقة مع الحفاظ على مناطقهم الأولى التي امتدت جنوبا إلى جبال بني راشد (جبال عمور حاليا[2])، فاتخذوا من نهر واصل مجالا توزعوا على ضفافه، ثم وسعوا نفوذهم شرقا إلى جبل دراك بالقرب من المدية، ومن الناحية الغربية أبعدوا بني وجديجن، ومطماطة عن سهل السرسو الغربي، وهو ما جعلهم يبسطون سيطرتهم على كامل هذا السهل[3]. وأما في الجانب الشرقي لوادي مينا، فقد ظهرت قبيلة بني وماتوا الزناتية، وهي بدورها كانت تابعة لقبيلتي مغراوة وبني يفرن، ولما هُجِّرا إلى المغرب الأقصى، بدأت تتوسع في تلول منداس حتى وصلت حدودها الشمالية إلى بلاد الشلف السفلى، ومن الناحية الشرقية عن تلول منداس بلغت منطقة "مرات"[4]، ولعلها هي المعروفة حاليا بـ: "امْرَاتْ" التي تقع على الحدود بين عماري (ولاية تيسمسيلت)، وسيدي الحسني (ولاية تيارت).

وقد نتج عن هذا التوسع نزوح عددٍ من القبائل إلى أعالي جبال الونشريس، ويظهر هذا من خلال نصين ذكرهما البكري (ت. 478هـ/1094م): الأول أشار إلى أن مكناسة ومطماطة يستقران بجانب مدينة تاهرت، والثاني يجعلهما موجودين في الطريق الذي يشق الونشريس الغربي وتلول منداس، فيذكر أن الذهاب من الغُزَّة إلى تاهرت يتطلب العبور إلى تاجموت على مضيق مكناسة، ثم إلى سفح جبل تسيطر عليه قبيلة مطماطة[5]، ثم تاغريبت[6]. ويظهر أن النص الأول يعود لمحمد بن يوسف الوراق(ت. الوراق(ت. 363هـ/974م) صاحب كتاب "مسالك إفريقية وممالكها" الذي بنى البكري عليه كتابه، والثاني يرجع إلى المعلومات التي جمعها المؤلف في عصره. ونزحت إلى جبال الونشريس أيضا قبيلة هوارة، بعد الثلث الثالث من القرن 4هـ/11م، وهذا بسبب سيطرة قبيلة بني يلومي الزناتة على جبلها المعروف بجبل هوارة في نواحي معسكر، وطردها منه[7]، وقد تجاورت هذه القبائل في جبال الونشريس مع العديد من الجماعات القبلية البترية والبرنسية[8].

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص264-265؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص71-72؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج، ص209،ج7، ص206.

(2) Gautier, op. cit., p222.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 205-206.

(4) نفسه، ج7، ص74.

(5) يوجد في منطقة عمي موسى، والملعب بالونشريس الغربي إلى اليوم عرش ينتسب إلى مكناسة، وأماكن معروفة باسم: تاجموت، ومطماطة. انظر: لحسن محمد، عين طارق من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال-تاريخ مختصر(الشكالة، مكناسة، ماريوة)، دار أم الكتاب، مستغانم-الجزائر، 2012م، ص18، 155.

(6) البكري، المصدر السابق، ج2، ص248.

(7) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص74.

(8) الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص253.

والجدير بالإشارة هنا، ما أشار إليه ابن خلدون[1] من تخصص بعض الشخصيات في علم الأنساب ينحدرون من قبيلة مطماطة التي تستقر بالونشريس الغربي، منهم كهلان بن أبي لوا بن يصلاصن، وسابق بن سليمان المطماطي، الذي نقل بعض آرائه عندما تحدث عن أصول القبائل البربرية. فهل يمكن أن تكون دواعي تخصصهم، نابعة من الحفاظ على الهوية العرقية لقبائلهم؟ وإعادة بناء ذاكرتهم من خلال تدوين أنسابهم، وما اتصل بها من أخبار ماضيهم؟. يبدو أنّ هذا الرأي؛ لا يُستبعد في ظل تجاور العديد من الجماعات القبلية المختلفة.

إنَّ ما يمكن استنتاجه عن القبائل ذات التاريخ الإباضي التي استقرت بالونشريس وما جاوره، وهي: لواتة، وهوارة، ومطماطة، ومكناسة، أنها لم تبرز فيها شخصيات إباضية قوية، عملت على ترسيخ انتمائها المذهبي، وإعادة هيكلتها لتكون تحت زعامة سياسية ودينية موحدة، مثلما حدث في المناطق الإباضية الأخرى، كوارجلان، وأريغ، وجربة، وجبل نفوسة[2]،خاصة بعد اختلاطها اختلاطها بمجموعات قبلية أُخرى مما صعّب حدوث هذا الأمر، وكذلك ولاء بعضها للأمويين في الأندلس[3]،مما جعل هذا الأمر، يتحول إلى ولاء مذهبي، يكونون فيه مطالبين بتبني الآراء الفقهية المالكية، وهذا ما يجعل الفرضية الأنسب لتحولها المذهبي، هو تقبلها بصفة تدريجية، وبطيئة للاتجاه السني المالكي، ثم اندماجها بعد ذلك في المنظومة الصوفية التي تمكّنت من التغلغل في البنى الاجتماعية للتجمعات القبيلة، وبهذا انتقلت القبائل المتمركزة فيما بين الونشريس ووادي مينا لمرحلة جديدة تميزت بسيطرة المرجعية المالكية، والصوفية على كافة الممارسات الدينية.

5-انتشار التصوف فيما بين الونشريس ووادي مينا:

قبل الحديث عن الحركة الصوفية في المجالات الريفية الممتدة بين الونشريس ووادي مينا، لا بد من الإشارة إلى أنَّ جذورها تمتد ضمن السياق التاريخي بالمغرب الأوسط لمجموعة من العوامل الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، التي بدأت تتراكم فيما بينها، وشكلت أرضا خصبة لانتشار التيَّارات الصوفية القادمة من المشرق الإسلامي[4]. ولعل من أهم هذه العوامل تأثيرا في منطقة تاهرت، الفكر الزهدي والوعظي الذي عمل الإباضية على نشره خلال العهد الرستمي[5]،وهو ما ترك آثارا آثارا عميقة في الذهنيات والسلوكيات، والمتأمل في رحلة عودة المهدي بن تومرت من المشرق، ومروره ببعض مناطق حوض الشلف

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص162-163، 206.

[2] عن التنظيم السياسي والاجتماعي للمناطق الإباضية في بلاد المغرب بعد سقوط الدولة الرستمية. انظر: مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/ 909-1058م)، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1996م، ص193-220؛ نفسه، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال، مؤسسة توالت الثقافية، ليبيا، 2003م، ص139-151.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص318.

[4] عن عوامل ظهور الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط. انظر: بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين: نشأته –تياراته-دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي، عين مليلة-الجزائر، 2004م، ص46-101.

[5] بن عمر علال، إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقالهُ من القرن 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م: دراسة مذهبية-ثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة غرداية، 2017-2018، ص255-257.

والونشريس، يجد افتتان العامة بما كان يُظهره من تقشف، وزهد، وورع، حتى أنَّ أحد الشخصيات العلمية، وهو أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المكنى بالبشير(ت.524هـ/1130م)، انضم إلى جماعته، وقرر التوجه معه إلى المغرب الأقصى[1].

وكذلك ما أشار إليه بعض الباحثين[2] من لجوء بعض القبائل الضعيفة سياسيا واقتصاديا إلى رفع مكانة الصلحاء في منظومتها الاجتماعية، كنوع من تعزيز قوتها دينيا، والحفاظ على كينونتها من أجل البقاء والاستمرار. وعند استقراء النصوص التاريخية الخاصة بالمنطقة نجدها تدعم هذه الرؤية، وإن كانت بدايتها تظهر بصفة محتشمة، ففي النصف الثاني من القرن 6هـ/12م قدم أحد الشخصيات المعروفة بعبد الصمد بن محمد إلى منطقة الشلف؛ وذلك بعد زوال ملك أسرته بني خزرون ملوك طرابلس الغرب، واستقر عند بقايا فروع قبيلة مغراوة، فقام بمصاهرتهم، والعيش بينهم، وكان له العديد من الأولاد، اشتهر منهم أبو ناس الذي كان من الصلحاء المشهورين بالعبادة والخيرية، فَعَلت مكانته الدينية بين قومه، ويبدو أن نفوذه الروحي امتد أيضا إلى قبيلة بني وماتوا في شرق وادي مينا، وذلك بعد مُصاهرته لأحد أبناء ماخوخ زعماء هذه القبيلة، ولما قامت الدولة الموحدية وهبوا له إقطاعا بوادي الشلف، وعاملوه باحترام شديد، وبذلك شكل أبو ناس بن عبد الصمد همزة وصل بين الموحدين الذين استغلوا مكانته الدينية من أجل بسط سلطانهم على القبائل التي كان لهُ نفوذ روحي عليها ومن جهة أُخرى استطاع أبو ناس الدخول في مرحلة مهادنة مع الموحدين مكّنته من جمع فروع قبيلة مغرواة التي كانت تعرف ضعفا نتيجة الحروب والصراعات التي خاضتها ضد الفاطميين والصنهاجيين[3].

وبعد ذلك عرفت الحركة الصوفية بالونشريس في القرن 7هـ/13م، تطورا ملحوظا، جعلت منه مركزا للصلحاء[4]، كما ظهرت أنواع متعددة من الممارسات الصوفية التي عمقت النظرة التبجيلية للصلحاء في إطار ما يُسمى بكرامة الأولياء، وجعلت العامة تعتقد فيهم قدرات خارقة تدفع عنهم كافة أنواع الأذى والشرور[5]. ومما ساهم في ترسيخ هذا الانتماء خلال هذه الفترة، بروز مدينة مازونة التي شكلت بعد تخريب مدينة تاهرت علي يد جيش ابن غانية سنة 605هـ/1208م[6]، حاضرة جديدة عملت على نشر الفقه المالكي والتصوف في المجالات الريفية المتصلة بها؛ ويمكن أن نُلاحظ هذا في كتاب صلحاء وادي الشلف لموسى بن

---

[1] البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط-المغرب، 1971م، ص19؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص173.

[2] بونابي الطاهر، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009/2008م، ص365؛ علواني صالح، انتشار الولاية في بلاد القبائل الرُّحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين السابع والتاسع ميلاديين، مجلة إنسانيات، العدد: 60-61، أفريل-سبتمبر2013م، ص124.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص86.

[4] ابن مرزوق(أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2008م، ص277.

[5] المازوني (أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي)، صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق: غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017، ص185-249، 459-461.

[6] المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2006م، ص241؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص375.

عيسى المازوني (ق8هـ/14م)[1] من انتشار الواسع للتصوف في الجهات الجنوبية لمدينة مازونة وصولا إلى أعالي الونشريس خلال القرن 7هـ/13م، وظهور العديد من الشخصيات الصوفية والعلمية، كما هو مبين في الجدول التالي:

الاسم	مكان الاستقرار	الفترة التي عاش فيها بالتقريب	الصفحة من كتاب الصلحاء
أبو ماتع	مازونة	كان مدفونا في مسجد يُنسب إليه بمازونة خلال القرن 7هـ/ 13م.	ص191.
أبو يكنى	نواحي جبل وافرشان	القرن 7هـ.	ص189-190.
أبو جنان	-	القرن7هـ.	ص225.
أبو البيان واضح بن عاصم المكناسي	جبل وافرشان عند قبيلة مكناسة	القرن 7هـ.	ص185-249.
الشيخ عزوز	جبل وافرشان ثم مازونة	عاش بين النصف الثاني من القرن 7هـ/13م والثلث الأول من القرن8هـ/14م.	ص190-193،459 -461.
أبو مهدي عيسى بن فكرون (دفين منطقة تملاحت[2])	جبل الونشريس	عاش بين النصف الثاني من القرن 7هـ/13م والنصف الثاني من القرن8هـ/17م.	ص225-230.
على بن محمد بن محشرة	-	عاش بين النصف الثاني من القرن 7هـ/13م والنصف الثاني من القرن8هـ/17م.	ص211.
أبو محمد عبد الله بن يوسف	-	عاش بين النصف الثاني من القرن 7هـ/13م والنصف الثاني من القرن8هـ/17م.	ص186، 204، 240، 246.

جدول يوضح الشخصيات الصوفية والعلمية في المنطقة الممتدة ما بين مدينة مازونة وجبال الونشريس من خلال كتاب صلحاء وادي الشلف

خاتمة: نتائج الدراسة

من خلال ما سبق ذكره، يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية:

أ-عرفت المجالات الريفية فيما بين الونشريس ووادي مينا انتشار عقائد الإباضية والصفرية في القرن 2هـ/8م، وذلك من خلال القبائل الرُّحل الذين اعتنقوا هذين المذهبين، ونشروه فيما بينهم، ضمن المجالات التي كانوا ينتجعونها بالمغرب الوسط، وفي هذا السياق يمكن تفسير وصول هذه العقائد إلى سهل السرسو، وتلول منداس، وحوض الشلف الأدني.

[1] المازوني، المصدر السابق، ص211، 230، 248.

[2] Basset (R.), Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central, Ernest Leroux , Éditeur, Paris, 1895, p5.

ب-تأسست إمارة أبي قرة المغيلي في الجهة الغربية للمغرب الأوسط، حيث امتد نفوذها من تلمسان غربا إلى قبيلة مغيلة بالونشريس شرقا.

ج-مثلت المناطق الممتدة فيما بين الونشريس ووادي مينا خلال الحكم الرستمي، المجالات الريفية للعاصمة الرستمية، حيث استقرت فيها العديد من الجماعات القبلية، كمنداس، ومطماطة، وزواغة، وزناتة التي اشتهرت جماعات منها باعتناق المذهب الواصلي المعتزلي.

د-على الرغم من سيطرة الدولة الرستمية على المجالات الريفية المحيطة بمدينة تاهرت، إلا أن القبائل التي كانت متوزعة فيها لم تكن علاقاتها دئما في أحسن الأحوال.

هـ-بعد سقوط الحكم الرستمي على يد الفاطميين، دخلت المنطقة في فوضى عارمة تميزت بمحاولة الفاطميين والأمويين، السيطرة على القبائل المتمركزة في إقليم تاهرت، وذلك من خلال إخضاعها سياسيا، ومذهبيا.

و-ابتداء من النصف الثاني من القرن 4هـ/ 10م، بدأت المنطقة تشهد تحولات مذهبية عميقة وبطيئة نحو اعتناق التوجه السني المالكي. وقد صاحب هذه العملية تغيرات في الجغرافية القبلية، وذلك من خلال سيطرة قبيلة بني توجين وبني وماتوا على تلول منداس والمناطق المجاورة لها، مما دفع بالعديد من القبائل إلى النزوح إلى الونشريس.

ز-شهدت المنطقة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12 و13م بروز التصوف كظاهرة اجتماعية، تميزت برفع مكانة الصلحاء، ثم إحاطتها بالعديد من الممارسات، والاعتقادات الدينية، التي عمقت النظر التبجيلية لها.

ـقائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، 2002م.

-الإصطخري (أبو الحسن إبراهيم بن محمد الفارسي)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1870م.

-(الداعي) إدريس (عماد الدين بن الحسن القرشي)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985م.

-البغطوري (مقرين بن محمد النفوسي)، روايات الأشياخ: أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، بركاء-عُمان، 2017م.

-البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، المسالك والممالك، حققه ووضع حواشيه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م.

-البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1971م.

-ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة، القاهرة-مصر، د.ت.

-ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1996م.

-ابن حيان (أبو مروان بن خلف القرطبي)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد-إسبانيا، 1979م.

-ـــــــــــــــ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي حجي: دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1965م.

-ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1964م.

-ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت – لبنان، 2000م.

- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، 1974م.

-ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972م.

-أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، حققه ووضع حواشيه: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 3، الجزائر، 1984م.

-ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.

-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م.

-مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط-المغرب، 2005.

-المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2006م.

-ابن مرزوق(أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط-المغرب، 2008م.

-المازوني (أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي)، صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق: غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017.

-المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

-(القاضي) النعمان (أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي)، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس و الجزائر، 1986م.

- ـــــــــــــــــــــــ، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1963م.

-النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، حقيق الجزء 28-29: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م.

-اليعقوبي (أحمد بن أبي إسحاق)، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.

ب-الدراسات باللغة العربية:

-إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات وزارت الشؤون الدينية والأوقاف، ط4، الجزائر، 2015.

-الباروني (سليمان بن عبد الله)، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية: القسم الثاني، تحقيق: كروم أحمد بن حمو وعمر بازين، مكتبة الضامري، ط2، السيب-عمان، 2014.

-بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين: نشأته –تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، عين مليلة-الجزائر، 2004م.

-ـــــــــــــ، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009/2008م.

-خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، المطابع الذهبية، مسقط-عُمان، 2002م.

-بن داهية عدة ، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م.

-شرايف سحنون، دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني (40-429م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010-2011م.

-علواني صالح، انتشار الولاية في بلاد القبائل الرُّحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين السابع والتاسع ميلاديين، مجلة إنسانيات، العدد: 60-61، أفريل-سبتمبر2013م.

-بن عمر علال، إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقالهُ من القرن 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م: دراسة مذهبية-ثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة غرداية، 2017-2018.

-لحسن محمد، عين طارق من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال-تاريخ مختصر (الشكالة، مكناسة، ماريوة)، دار أم الكتاب، مستغانم-الجزائر، 2012م.

-محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1985م.

-المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م.

-مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/ 909-1058م)، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1996م.

-ـــــــــــــ،جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال، مؤسسة توالت الثقافية، ليبيا، 2003م.

ج-الدراسات باللغة الأجنبية:

-Amara (A.), Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIII[e]-XIV[e] siècle), Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N. 132, 2012.

-Barlette (H.), Monographie de la région de Tiaret, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3é trimestre, 1912.

-Basset (R.), Étude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central, Ernest Leroux , Éditeur, Paris, 1895.

-Bugéja (M) et Rousseau, Le Serssou, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord, 3é trimestre, 1904.

-Ficheur (E.), Le crétacé inférieur dans le massif des Matmatas (Alger), Bulletin de la Société Géologique de France, N.8 , 1900.

-Fournel, (P. H.), Les Berbères (Etudes sur la Conquête de l'Afrique par les Arabe), l'imprimerie Nationale, Paris.

-Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique du Nord – les siècles obscures -, Payot, Paris, 1937.

-Lacroix (N.), Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel, Revue Africaine, N. 272-273, 1909.

-Niox (C.), Algérie: Géographie physique, Imprimerie L. Baudoin, Paris, 1884.

-Perrin (R.), Le Sersou: Etude de géographie humaine (Premier article), Méditerranée, 1e année, N.2-3, 1960.

-Prevost, (V.), La révolte de Bagaya (358/969): le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Nastern Studies, Vol. 65, N.3, 2006.

-Sari (DJ.), Les populations de l'Ouarsenis central, Méditerranée, T. 11, N.3-4, 1973.